المدخل إلى إعجاز القرآن

[اللقاء ٣٩ من لقاءات مركز تفسير للدراسات القرآنية التي تنعقد في الثلاثاء الأخير من كل شهر عربي بديوانية الأستاذ عبد الله الشدي بحي النفل بشمال مدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية.

ضيف اللقاء معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية]

معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونيَّة (١)

الشيخ لم يراجع التفريغ

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

د. عبد الرَّحمٰن الشهري: الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ سيدنا ونبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

حياكم الله أيها الإخوة في هٰذه الليلة الكريمة..

واليوم هو يوم الثلاثاء ٢٦ من شهر جمادىٰ الأولىٰ من عام ١٤٣٦ للهجرة، وهٰذا هو اللقاء ٣٩ من لقاءات مركز تفسير للدراسات االقرآنية.

هٰذا اللقاء العلمي الذي يستضيف نخبة من أهل العلم في الدراسات القرآنية للحديث عن موضوعات نوعية تهمّ المتخصصين في الدراسات القرآنية.

وقد استضفنا -ولله الحمد- في اللقاءات الماضية عددا من كبار أهل العلم في الدراسات القرآنية من أنحاء العالم ولله الحمد.

ولعل اليوم -بإذن الله تعالىٰ- يكون درّة هٰذه اللقاءات مع شيخنا وأستاذنا معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، الذي هو قبل أن يكون وزيرا للشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد فهو أستاذ الدراسات القرآنية بجامعة الإمام، وقد تشرفتُ أنا شخصيا بالتتلمذ علىٰ يديه في مرحلة الماجستير، وتتلمذ غيري من طلاب العلم علىٰ دروسه وكتبه ومحاضراته النوعية التي لا تخلو -ولله الحمد من توفيقه لمعالي الشيخ- من إضافة علمية وعمق علمي يظهر في معالجته للمسائل.

اليوم سوف يحدثنا معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ وفقه الله عن:

المدخل إلى إعجاز القرآن

وكأني به مدخلا يُحاكي ما كتبه محمد عبد الله دراز في «النبأ العظيم» وأشباهه بإذن الله تعالىٰ.

فلن أطيل عليكم في المقدمة، وأترك الميكروفون لمعالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، وأرحب به بين تلاميذه ومحبيه في مركز تفسير للدراسات القرآنية، والذي أعده تلبيته لهٰذه الدعوة تشريفا لتلاميذه ومحبيه في مركز تفسير للدراسات القرآنية، ونرجو أن يكون هٰذا بإذن الله بداية لتواصل علمي مع معالي الشيخ نسأل الله أن يوفقه وأن يسدده.

فحياكم الله يا معالي الشيخ، وأهلا وسهلا بكم، وتفضلوا، والوقت المتاح أنه ساعة لضيوفنا، وحسب ما ترىٰ إن كان ساعة أو أقل أو أكثر، وأرجو أن تكتبوا الأسئلة ونرتبها علىٰ حسب وصولها

ونعرضها علىٰ الشيخ بعد انتهائه.

الشيخ صالح آل الشيخ:

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، هو الملك الحق المبين، وأشهد أنّ محمدًا عبد الله ورسوله وصفيُّه وخليله، أنزل الله عليه القرآن ليكون للعالمين نذيرًا، صلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد كلّما صلىٰ عليه المصلون، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد كلّما غفل عن الصلاة عليه الغافلون.

اللّٰهمَّ فاغفر جمّا.

أيها الإخوة الكرام.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

وإني في فاتحة هٰذا اللقاء لأحمد الله تعالىٰ أن جمعنا علىٰ أعظم ما يُجتمع عليه وهو م**حبة كلام الله جل وعلا العزيز الذي هو القرآن العظيم**، وجمعنا علىٰ الحب فيه، وحب العلم، وحب نصرة هٰذا الدين، وبقائه في الأمة قويا عزيزا ببقاء هٰذا القرآن العظيم في نفوس أبناء هٰذه الأمة قويا عزيزا ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[الحجر]، فبحفظنا بما هو ميسر لنا لهٰذا القرآن الله جل وعلا يستعملنا فيما يقرب إليه.

في البداية أشكر لأخي العزيز فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الرَّحمٰن بن معاضة الشهري لجميع زملائه في مركز التفسير هٰذه الدعوة الكريمة التي أجدها تكريما أكثر من أني آتي لأتكلم، والتكريم من أهل القرآن يفرح به لأنها شهادة لصلة نوعية في أعظم ما تكون الصلة به؛ وهو القرآن الكريم العظيم، كلام الله رب العالمين.

لا شك أنَّ الدراسات القرآنية اليوم قد توسَّعت جدًّا، وتوسعت بحكم تنوع التخصصات القرآنية في الجامعات بأنواعها؛ وكلّما زادت التخصصات، وزاد المؤهَّلون من حمَلة الشَّهادات وأهل العلم كلما حرصوا أكثر علىٰ تنويعِ الإفادة من علوم القرآن الكريم، ابتداءً من حفظ القرآن الكريم، علىٰ قراءة وعلىٰ راوية أو أكثر، ثم علىٰ القراءات والرِّوايات، ثم علىٰ فقه هٰذه القراءات في فَرْشها وأصولها، ثم في معرفة أُسس التي تؤدي إليها هٰذه الاختلافات في الأداء أو في الرسم، وما يتَّصل بذلك من بحوث تُرجعنا

إلىٰ القرآن غضًّا طريّا كما أُنزل، «أنزل القرآن علىٰ سبعة أحرف».

هكذا تنوعت الدراسات في جميع مناحي علوم القرآن، ومن الدِّراسات التي توجد اليوم في المدارس والكليات وفي بحوث من يبحث «مبحث إعجاز القرآن»، وكثيرة الكتب القديمة في إعجاز القرآن علىٰ اختلاف مشارب من كتب في ذلك وفي عصرنا الحاضر بعد كثرة التأليف والكليات صارت الكتابة في إعجاز القرآن كثيرة جدا وجدا، بحسب التخصص، وبحسب ما يتاح للناظر في إعجاز القرآن مما يهيئ الله له.

والمؤلفات تتحدَّث عن إعجاز القرآن، واخترتُ الاسم علىٰ عجالة بـ«**المدخل إلىٰ إعجاز القرآن**» اتِّباعا لما صنعه استاذنا وشيخنا في العربية الشيخ محمود محمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في كتابه الذي لم يكمله «المُداخل في إعجاز القرآن».

وإعجاز القرآن أكبر من أن يكتب علىٰ غلاف كتاب، حظنا في الحقيقة أن ندخل ونزدلف إلىٰ هٰذا العلم علم إعجاز القرآن؛ ولذلك وجدتها كبيرة في محاضرة وليس في تأليف، في محاضرة علىٰ عجل أن أتكلم عن الإعجاز، وإنما نتكلم عن مدخلٍ إلىٰ إعجاز القرآن.

وإعجاز القرآن من حيث هو لفظ: علمٌ جعل من علوم القرآن، وهو في الأصل ليس كذلك، فإعجاز القرآن ليس من علوم القرآن، وإنما إعجاز القرآن هو من علوم العقيدة في دلائل النبوة؛ لأن أعظم آية؛ ولأن أعظم برهان آتاه الله جل وعلا نبيه محمدا ﷺ يدل علىٰ صدق أنه رسول من عند الله هو القرآن.

فالقرآن هو الآية والبرهان، وقع فيه التحدي، وتحدىٰ الله جل وعلا الجن والإنسان أن يأتوا بمثل هٰذا القرآن، ولو اجتمعت قُدرهم وكان بعضهم لبعض ظهيرا؛ فعجزوا.

وتحدىٰ العرب أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات كما زعموا ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾[هود:١٣]، وتحداهم بسورة وهٰذا التحدي، وحصول العجز، وكونه دليلا من دلائل النبوة= أخرج اسم إعجاز القرآن، وإلا فالأصل في ثلاثة القرون أنه لا يوجد هٰذا الاسم (إعجاز القرآن)، وإنما القرآن العظيم: كلام الله، الآية، والبرهان، وحجة النبي ﷺ إلىٰ قيام الساعة.

وهٰذا يبين لك أن مبحث إعجاز القرآن أصله عقدي؛ ولذلك لا نجد أحدا من السلف من علماء التفسير تكلم حول إعجاز القرآن من حيث هو علم متصل بالقرآن، وإنما بحثه من بحث في إثبات نبوة

محمد ﷺ، وإثبات الرسالة وإثبات الإسلام.

وقبل أن نصل إلىٰ المقصود نمر مرورا تاريخيا سهلا بحسب ما يقتضيه المقام علىٰ هٰذه المسألة:

مسألة إعجاز القرآن من حيث هي معناها **أن القرآن معجز**؛ معنىٰ ذلك أن الإعجاز صفة للقرآن، وهو إعجاز القرآن، وليس إعجازًا بالقرآن، وذلك فأهل السنة حينما وافقوا علىٰ إطلاق هٰذا الاسم في دلائل النبوة قالوا: هو إعجاز القرآن، وليس إعجازا من الله بالقرآن، ولهٰذا نمرُّ مرورا سريعا في كيف صار إعجاز القرآن من علوم القرآن ومن علوم العربية أو من علوم البلاغة أو ما إلىٰ ذلك.

أول ما بدأ تكلم من تكلم في هٰذا المسألة، في إثبات النبوة؛ لأن القرآن هو حجة محمد ﷺ، وأن الحجة قامت علىٰ العرب بهذا القرآن؛ لأن العرب أهل لغة، فاللغة العربية وُلدت مع العرب، ولذلك سُمِّيت عربية، وفي الحديث الصحيح: «أول من فتق لسانه بالعربية الفصحىٰ إسماعيل عليه السلام» وانتهت خاتمة المطاف في قمة اللغة العربية حين نزل القرآن علىٰ العرب، كانت العرب مختلفة في لغتها العربية: هناك لغة قريش، وهناك لغة هُذيل، وهناك لغة قحطان، وهناك لغة تميم، وهناك لغة أهل اليمن، وهناك عدة لغات أو أحرف مختلفة للعرب في كلامها. فهناك عند بعضهم ما لا يعرفه البعض الآخر.

فقمة البلاغة، قمة فهم اللغة، قمة معرفة اللغة في لفظها ومعناها وتركيبها ونظمها كانت عند عرب قريش، وكانوا يحتفون كل سنة بسوقٍ خاص بذلك، وتعلق القصائد علىٰ الكعبة التي يُشهد لها لأجل ذلك، ولما كان الأمر كذلك كانت الحجة قائمة علىٰ العرب بهذا القرآن بأنه من عند الله جل وعلا، حيث إنهم عند أنفسهم قد ملكوا البلاغة والبراعة واختيار اللفظ ونسق النَّظم، بلغوا فيه الغاية، وتفاخروا بذلك، فلما نزل القرآن وجدوا العجز الكبير في ذلك.

وهنا القصة المشهورة أن ثلاثة من قريش وهم سفيان بن حرب وأبو جهل والأخنس بن شريق اجتمعا ليلة علىٰ غير موعد عند منزل النبي ﷺ يسمعونه يقرأ القرآن فلما تراءوا عند الانصراف تعاهد بعضهم مع بعض أن لا يرجعوا مرة ثانية خشية من تأثير القرآن، ومع هٰذا التعاهد اجتمعوا مرة أخرىٰ لغلبة سلطان التأثير في القرآن علىٰ نفس العربي في ذلك، واستمعوا ليلة ثانية، ثم ليلة ثالثة، حتىٰ تعاهدوا في الليلة الثالثة أن يقولوا للناس: إنه مفترىٰ.

وهكذا كانوا يسمعون، حتىٰ قال الوليد في وصفه للقرآن: لقد سمعت شيئا ليس بالشعر ولا بالكهانة،

ولا بقول البشر، إن له له لحلاوة، وإن عليه لطَــُلاوة، وإن أعلاه لمعذق وإن أسفله لمـورق. وهٰـذا منـه استسلام لعظمة القرآن، فهو له سيطرة علىٰ النفوس، ولأنَّه كلام الله جل وعلا.

ومن هنا جاء البحث: لم كان القرآن معجزًا؟

مثل ما قلنا لفظ الإعجاز لم كن معهودا ولم يرد لا في الكتاب ولا في السنة ولا في كـلام الصـحابة ولا كلام التابعين، ولا كلام تبـع التـابعين ولا مـن بعـدهم أيضـا بقليـل، وإنمـا أول مـن أحدثـه المعتزلـة، والاستعمال صحيح، إذا عني به المعنىٰ الصحيح الذي نتكلم عنه، وإلا فإن الأصـل القـرآن آيـة، نقـول: برهان القرآن، آية القرآن ونحو ذلك.

ولٰـكِـن جرىٰ الاصطلاح علـىٰ اسـتعمال لفـظ الإعجـاز، باسـتعمال صـحيح، فـلا بـأس في ذلـك، واستعمله العلماء بنحوٍ من الاستعمال.

فكان ممن تحدث في ذلك **النظَّام** المعـروف -شـيخ المعتزلـة- بـأن القـرآن سـبب إعجـازه لـيس أن العرب غير قادرين عن الإتيان بمثله؛ ولٰـكِـن أن الله صرفهم عن ذلك بقدرته.

وهٰذه المسألة **الموسومة بالصَّرفة** بكتب العقائد ولا نطول فيها.

ويأتي بعده تلميذه أو صاحبه أو معاصره أو تلميـذه الجـاحظ فـذكر في غيـر مـا كتـاب مثـل الكتـاب الحيوان وغيره قال: السـر في الإعجـاز هـو اللفـظ، فـإن المعـاني يعرفهـا العربـي والعجمـي، ويعرفهـا الحضري والقروي والمدني -يعني صاحب المدينة- إنما الشأن في انتقاء اللفظ وحسـن السـبك أو كمـا قال.

وهٰذا المعنىٰ أن السر في الإعجاز الألفاظ المنتقاة الخيرة؛ لٰـكِـن القرآن لفـظ ومعنـىٰ، والمعـاني فيـه أكثر بعدا من الألفاظ.

الألفاظ فيها العلو والإعجاز؛ لٰـكِـن المعاني فيها التركيب كما سيأتي إعجاز آخر.

وهناك من عكس فقال: الألفاظ موجودة؛ ولٰـكِـن الشأني في المعاني من تركيب هٰذه الألفاظ.

وهناك من أتلا بعد ذلك وهو الخطابي حمد بن محمد سليمان رَحِمَهُ اللهُ تعـالىٰ العـالم المعـروف حيـث جاء بذكر نظرية النظم، أو ما يسميه المتأخرون بنظريـة الـنظم أشـار إليهـا إشـارة في رسـالته في (إعجـاز القرآن)، ولكنه لم يطبقها تطبيقا واسعا.

وأخذها معاصره العلامة عبد القاهر الجُرجاني فبسط القول فيها بسطا آلت الأمور إليه؛ في أن سر إعجاز القرآن في النَّظم.

ومعنىٰ النَّظم وما يجتمع فيه تركيب الألفاظ واجتماعها، مع بعد المعاني واتساقها، والروابط التي تربط بين الألفاظ لإحداث اختلاف المعاني، وإحداث الصور المختلفة علىٰ الاختصار أو الإطناب.

وينظر بعظمة وبهاء -وحُقّ له في ذلك- إلىٰ قول الله تعالىٰ في رسم شيء كبير، وإحداث نظر متنوع بعيد في مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾[هود]، بحيث إن واحدا من آحاد البُلغاء أو الأدباء لو أراد أن يصوغ هٰذه الصورة الكبيرة التي تراها مع هٰذه الجمل المختصرة لكان عندك بحر من الصور المختلفة التي يمكن أن يكتب فيها عدة صفحات لتصوير هٰذا المشهد العظيم.

والنَّظم ذكره العلامة عبد القاهر الجرجاني في رسالته «الشافية» وفي «أسرار البلاغة» وفي «دلائل الإعجاز» بنوع بسط وهو المشهور بين العلماء، وأعظم ما بسط فيه هٰذه المسألة في مجلد من كتابه العظيم «المغني» الذي رد في هٰذه المسألة علىٰ قاضي المعتزلة عبد الجبار.

ومرت هٰذه المسألة -مسألة النظم- بين العلماء علىٰ استحسان كبير، والنَّظم تولَّد منه نظرية النظم أو **فكرة أن عجز العرب عن الاتيان بمثله مجتمعٌ بين ألفاظ منتقاة عالية، ومعاني كثيرة متنوعة، وبين نظم يجمعها بروابط تُحدث معاني مختلفة**، وهٰذا استحسنه العلماء الذين أتوا بعده، وخاصة علماء العجم الذين كانوا يحتاجون للحوار أو للمناظرة في هٰذه المسألة مع من يُنكر النبوة ويثبت حجية القرآن.

من هنا تولد من كلام عبد القاهر علم اسمه علم البلاغة، وعلم البلاغة له ثلاثة فصول أو علوم:

الأول: علم المعاني.

والثاني: علم البيان.

والثالث: علم البديع.

والبديع يُنظر فيه إلىٰ: المحسنات اللفظية بأنواعها.

والبيان يُنظر فيه إلىٰ: الصور والمعاني الناتجة من الألفاظ .

والمعاني وهو أهمها لطالب العلم في التفسير، وهو كيف يختلف التفسير وتختلف المعاني بالروابط

المختلفة للنظم؛ مثل ما نقول: التقديم والتأخير والتأكيد بإن، والتأكيد بالمؤكدات، والقسم، والحصر والقلب وأنواع ذلك من علوم المعاني.

ولهٰذا لا يمكن أن يجيد التفسير بالإرشاد إلىٰ الإعجاز من لم يتقن علم المعاني،فنتج من هٰذه النظرية نظرية النظم البلاغة بعلومها التي تدرس الآن.

والدمج ما بين علم البلاغة وعلم التفسير اليوم قليل، حتىٰ عُدّت المؤلفات التي يقال: تفسيرها بلاغي، وإذا كان المقصود بالتفسير البلاغي المقصود به البديع والبيان، فهٰذا أمر لا باس به فيه سعة؛ ولٰكِن لا يصلح أن يكون تفسير بلا علم المعاني؛ لأن التفسير بفهم اللغة باللسان العربي واجب، لا يمكن أن يكون التفسير إلا بفهم اللسان العربي، والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هم أقدر الناس علىٰ فهم اللسان العربي وبالتالي كانوا هم بالسليقة والطبيعة أقدر علىٰ فهم المعاني بمقتضىٰ رعاية علم المعاني الذي جاء مؤخرا.

لٰكِن هنا وقعنا في تقليدٍ استمر منذ عبد القاهر الذي عمل إنجازًا كبيرًا في تاريخ إعجاز القرآن، ورد، وكان همه الرد علىٰ المعتزلة في ذلك عمل إنجازا كبيرا استحسنه العلماء؛ ولٰكِن منه إلىٰ الآن وما قاله يعتبر هو السِّرّ في القرآن قد رجّحه الكثيرون واعتمدوا عليه، حتىٰ انفتقت هٰذه العلوم.

وألّف بعده عدد، وهنا تأتي مدرستان مهمتان لطالب العلم أن ينتبه لإنتاجهما فيما يتصل بالقرآن وعلومه:

المدرسة الأولىٰ: مدرسة العجم.

والمدرسة الثانية: مدرسة العرب.

ونعني بالعجم هنا ليس الفصيل؛ ولٰكِن الذين أدخلوا القوانين الكلامية والمنطقية في علوم العربية، وهٰذا الذي أفسد الذوق العربي، وفهم العلم علم المعاني وعلم العربية علىٰ ما كان عليه الأوائل فاتجهوا إلىٰ أن العربية في معانيها وبلاغتها وبيانها وبديعها يمكن أن توضع في قوالب كما يقال: تعريفية محدودة، لتكون علمًا يدرّس، ولم تكن يوما ما المعاني والنَّظم في قوانين يُدرك، وإنما يدرك بذوق العربية، وفهم اللسان العربي علىٰ ما كان عليه، ولما مشوا في هٰذا الطريق، وكثرت المؤلفات في البلاغة في الإيضاح وفروعه وفي هٰذا الاتجاه كان قوالب وقوانين وتعريفات أذهبت الذوق وجعلت المسألة تطبيقية دون

رعاية للحس والفهم؛ حتىٰ بلغ الأمر أن كتب السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في ثلاث مجلدات «معترك الأقران في إعجاز القرآن» وأجاد ايما إجادة علىٰ هٰذا الخط.

أما الخط الثاني وهو المهم، وهو خط التذوق العربي الذي كان عند السكَّاكي وابن السبكي وجماعة فيما نحو إليه؛ لٰكِن الأمة لم تترسَّل مع ذلك ولم تتبنَّ هٰذا الأمر في القرن الثامن والتاسع الهجري، فلذلك خبا وظلت العربية وفهم القرآن في كودنة نقلة القوانين المنطقية والكلامية والعَجمية في القرآن، ومن هنا ضعُف الأمر جدًّا.

المنحىٰ الثالث في إعجاز القرآن: ليس هو منحىٰ اللفظ والمعنىٰ؛ وإنما هو منحىٰ التأثير، م**نحىٰ سلطان القرآن علىٰ النفوس**، هٰذا ذهب إليه جماعة من أهل العلم من السلوك؛ لأن كل طائفة من العلماء لهم ميل إلىٰ علمٍ من العلوم يريدون أن يجعلوا إعجاز القرآن مرتبطًا بذلك العلم، فأهل السلوك جعلوا تأثير القرآن علىٰ النفوس هو الحجّة التي لا يمكن أن يُستهان بها؛ لأن الأصل هو هٰذا؛ سلطانه قوي ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ﴾[الحشر:٢١].

ثم نمرُّ علىٰ هٰذا إلىٰ العصر الحاضر، وجاءت أنواع من الدِّراسات:

فمنهم من رأىٰ أن إعجاز القرآن في تشريعه وتشريعاته.

ومنهم من رأىٰ تبعا لبعض المتقدمين في إخباره؛ أخبر عن قصص الأنبياء، وأخبر عن أشياء في الكون وعما يستقبل، وحدث ما يستقبل في أيام تأتي بعد أيام النبي ﷺ؛ ولٰكِن هٰذه تدخل في الخصائص؛ لأن منها ما لم يدركه العرب القرآن حجة عليهم.

حتىٰ وصل الأمر إلىٰ إعجاز القرآن بالنظريات العلمية؛ يعني الإعجاز، الذي يسمونه الإعجاز العلمي للقرآن، والكتب فيه كثيرة، وأنشئت له هيئات وهو مؤثّر.

وهنا نقف وقفة -قبل الدخول إلىٰ المدخل-، هٰذا عرض تاريخي، وهو الموجود في كتب دراسات القرآن، وهو الموجود عند من يدرس هٰذه المسألة؛ لٰكِن نقف وقفة هنا قبل أن ندخل إلىٰ المدخل.

هٰذه الوقفة هي: أنّ كلّ ما قيل في ما ذكرنا هو حقٌّ وصواب، فكلّ هٰذه الأمة علىٰ مدىٰ قرون تتلمَّس هٰذا السِّر العظيم الكبير في القرآن الكريم؛ الذي جعل النَّاس الذين خاصَّتُهم اللغة أن يستسلموا له، وجعل من لا يعرف اللُّغة يستسلم لرنَّته وحُسن سَبْكه في الاستماع، وحسن رنَّته في الأُذن، ويجعل أهل

الجدال يستسلمون لقوة حجته، ويجعل.. ويجعل.. إلىٰ آخر ذلك.

هٰذا كلُّه صفة للقرآن، القرآن العظيم ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾﴾[ص]، ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾﴾[النبأ]، هٰذا النبأ العظيم هو فعلًا القرآن وهو العظيم؛ لٰكِن لماذا كان كذلك؟ هل هو لتشريعاته؟ هل هو لسلطانه؟ هل هو لبلاغته؟ هل هو لنظمه؟ هل هو لتأثيره؟

نحن نرىٰ في القرآن عجبًا: آية في قصَّة آدم، وبعدها آية في قصة أحد الأنبياء، ثم تشريع، ثم الكلام عن الجنَّة والنار، فتجد في آيات متتاليات في صفحتين أو ثلاث من القرآن مجموعة من الموضوعات المختلفة.

وهنا نصل إلىٰ «المدخل» الذي أظنُّ أنه بحاجة إلىٰ دراسةٍ من أهل الاختصاص، وهو أنَّ القرآن إعجازُه وآيته وبرهانه هي أنه كلام الله جل جلاله، الملك، القدوس.

فكلُّ صفات الله جل وعلا وما تقتضيه أسماؤه من معانٍ تدلُّ علىٰ ربِّنا جل وعلا، وكلامُه سبحانه في أمره الكوني، أو أمره الشرعي، أو فيما أنزله حجّةً لنبيه ﷺ أو لما قبله من الأنبياء= هو كلامه ﷻ، فلابد أن يكون كلامه جل وعلا غير كلام البشر.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾[النحل].

البشر يَعْلَمهم من خلقهم، من خلقهم؟ خلقهم الله؛ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾[الملك].

ولمَّا علم جل وعلا مستوىٰ خلقه في التلقي في أنواع ما يدركونه جعل القرآن العظيم معجزًا إلىٰ حدٍّ تقبله عقولُهم وأفئدتهم؛ لأنه لو كان معجِزًا بما لله جل وعلا من عظمة الكلام وشأنٍ عظيمٍ في الرسالة والوحي ربما عجزوا عن استقباله، فلمّا كان حجَّةً كان هداية.

ولذلك الجمع ما بين كون القرآن حجّة ومعجزا وآية وبرهانًا فيه بكونه كتاب هداية ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[الإسراء:٩]، هٰذا القرآن أنزل لهداية الناس.

الناس يختلفون؛ فلذلك قلنا: **إن أول معلم وأكبر أمر في الإعجاز هو أن القرآن كلام الله**، وكلام الله لا

يمكن أن يكون ككلام غيره، ولا يمكن أن يكون ككلام البشر أو في مستوىٰ كلام البشر، ولذلك عجْز كفار قريش ودهاقنة العرب ومن يعرفون اللغة ويمارسونها ويفتخرون بها =عن ذلك؛ لأنه كلام الله الذي لا يستطيعون أن يأتوا بمثله.

تستطيع أن تصف كلام الناس تقول: هٰذا أسلوب صالح آل الشيخ، لو غُيِّر لك الصوت تقول هٰذا أسلوبه، هٰذا أسلوب د. عبد الرَّحمٰن، هٰذا أسلوب فلان، تعرف القائل من أسلوبه، وهٰذا في نطاق البشر مع تنوِّعهم.

فالله جل وعلا يُعْلَمُ ﷻ بالعلم بالقرآن، والقرآن كلامُه الذي لا يمكن أن يكون كلام بشر.

فلذلك أعظم صفة في الإعجاز وكونه آية أنه كلام الله جل وعلا؛ ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [النحل:١٠٢]، نزله روح القدس من الله جل وعلا.

هنا نجد معنىٰ الهداية مخاطبة الناس جميعا التي قال فيها أبو الوليد لما قال للنبي ﷺ: لو أردت ملكا ملكناك، ولو أردت مالا أعطيناك مالا حتىٰ تكون أغنىٰ العرب، ولو اردت امرأة ذهبنا بحثنا لك عن أجمل نساء العرب فزوجناك، ماذا تريد؟ فقال النبي ﷺ: «هٰذا ما عندك؟» قال: نعم، قال: اسمع: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرَّحمٰن الرحيم ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤﴾ فقرأ حتىٰ بلغ قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۝١٣﴾ [فصلت]، فقال أبو الوليد: حسبك، هٰذا ما عندك قال نعم، فقام فرجع فقالوا ماذا عملت معه، قال: قال كلاما لا ادري ما هو، ولٰكِن أذكر منه الصاعقة، إن له لحلاوة، إلىٰ آخره.

إذن هٰذا السلطان نأتي فيه إلىٰ إعجاز القرآن في أثره علىٰ النفوس لأنه كلام الله جل وعلا، القرآن فيه الآيات المتنوعة، الواحد منا يقرأ الآية ويمر عليها لا يتأثر بها، ويقرأ القرآن مرة أخرىٰ ونفس الآية يتوقف عندها وتؤثر عليه، ويقرأ الآية قارئ فلا تحرك فيه، فيقرؤها قارئ آخر فتحرك فيه الإذعان والإخبات لله جل وعلا.

هٰذه آية يتأثر بها المستكبر، وآية يتأثر بها الرحيم، فآيات الجنة تهدي من يحب الترغيب، من يؤثر فيه الترغيب، من يؤثر فيه الحب، من يؤثر فيه العطف، آيات الوعيد، الوعيد بالنار الوعيد بالعقوبة، تؤثر في

فئة من الناس تهزهم لما تركب، النفوس مختلفة ، وهٰذه هي النقطة؛ النفوس نفوس الناس مختلفة، فتجد في القرآن ما فيه خطاب لجميع النفوس، وهٰذا لا يمكن أن يكون كلام بشر ولا يمكن أن يكون يستطيعه أحد.

فإذن الإعجاز جاء هنا من حيث أن القرآن أثر علىٰ أصناف الناس كل واحد بنوع نفسيته، تجد فلانا يعامل له نفسية له طريقة، ويعامل هٰذا شديد هٰذا رحيم، هٰذا لين، هٰذا حليم، هٰذا مستعجل، هٰذا يسمع والآخر لا يسمع.

القرآن فيه خطاب للجميع منهم من يتأثر بالأحكام الشرعية وبالحلال والحرام، ومنهم من يتأثر بالقصص قصص السالفين، منهم من يتأثر بالآخرة وما فيها، ومهم ومنهم.

فكل أصناف الناس بما خلق الله النفوس عليه من أنواع -وهي أنواع كثيرة- تجد أن جميع مخاطب في القرآن بما يؤثر عليه وبصلح نفسه، لمن ألقىٰ السمع وهو شهيد.

وهٰذا نوع أول من مداخل إعجاز القرآن: **النفوس مختلفة لا يعلمها إلا الله، القرآن كلام الله ليس بكلام البشر فهو صفته سبحانه الذي خلق الناس وعلم ما يصلحهم**، هٰذه نظرة هداية ليست فقط نظرة هداية؛ ولٰكِن هي في قالب النّظم الذي ذكروه؛ يعني أن ما ذكر هو خصائص لهٰذا القرآن، صفات لهٰذا القرآن، أن ألفاظه فيها كذا أو أن معانيه فيها كذا، وأن نظمه معجز، وأن فيه السلوك، وأن فيه التشريع، وأن فيه الإعجاز العلمي، وأن فيه الإخبار بالمغيبات الماضية أو المستقبلة، هٰذه كلها صفات؛ لٰكِن من جمع الكلام بهذه جميعا، هو المتكلم بهذا القرآن .

الثانية هي: أن القرآن معجز لأن فيه أثر صفات لا يمكن للبشر أن يبلغوها، البشر لهم صفات:

لهم صفات علم؛ لٰكِن بقدر.

لهم صفة حلم؛ لٰكِن بقدر.

لهم صفة قدرة؛ لٰكِن بقدر.

لهم صفة قوة؛ لٰكِن بقدر.

لهم صفة ملك؛ لٰكِن بقدر.

لهم صفة بطش؛ لٰكِن بقدر، لهم صفة ... إلىٰ آخره من الصفات.

لهم صفة سلطان بقدرها.

لهم صفة تشريع بقدرها.

لٰكِن صفة الله في هٰذه جميعا ليس هي صفة البشر، ولذلك من آمن بالقرآن أول ما أُنزل رأىٰ فيه القوة التي تجمع صفات ليست هي من صفات البشر؛ لأن المتكلم إذا تكلم بما عنده في ذهنه من الصفات؛ يعني بقدرته بما عنده من معلومات يخرج، وبما عنده من قدرة يخرج، يتوعد بقدره يوعد بقدره، يسوق قصص بقدره، يسوق علما بقدره.

لٰكِن ما في القرآن ليس لمقدور البشر ولا الجن والإنسان أن يكونوا بمثل هٰذه الصفات التي تكلم الله جل وعلا بالقرآن لإحاطته وعلمه وكماله في ذاته وأسمائه وصفاته.

ولذلك (ولله الأسماء الحسنىٰ فادعوه بها)، جاءت في آيات جاءت ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾[طه]، متىٰ جاءت هٰذه؟ جاءت في إنزال القرآن في أول ما أنزل:

﴿طه ١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ٢ إِلَّا تَذۡكِرَةً لِّمَن يَخۡشَىٰ ٣ تَنزِيلًا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ٤ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ٦﴾ إلىٰ أن قال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾.

ربطها هنا في هٰذا الموطن بإنزال القرآن ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾ لأنه تأملوا في ما في القرآن من بواعث لهٰذا الكلام لا يمكن أن يكون إلا من صاحب صفات لا تجتمع عليها البشر والجن والإنس لو اجتمعت بعضهم لبعض ظهيرا؛ لٰكِن لا يمكن أن يلغوا علما يخرجون به مثل هٰذا القرآن، ولا أن يبلغوا فهما ولا فقها ولا حكمة ولا قدرة ولا قوة ولا قدسا ولا طهورية ولا عبودية.

فإذن هٰذه جميع تغشىٰ المتلقي للقرآن فيعلم أنه لا يمكن أن يكون هٰذا إلا كلام الله جل وعلا.

فهنا صفات البشر هٰذا المدخل في الإعجاز صفات الرجال والنساء من الجن والإنس لو اجتمعت وبعضهم لبعض ظهيرا لن تبلغ شيئا من صفة الله جل وعلا، ولذلك لا يمكن أن يأتوا بمثل هٰذا القرآن؛ لأنهم لا يمكن أن يجمعوا شيئا باجتماعهم يبلغ شيئا من علم الله، فعلم الأولين والآخرين وما أوتي الناس في علم الله كمخيط وضع في البجر فأخرج منه، ماذا أخرج من البحر؟ شيء قليل.

ف رحمة الناس التي يتراحمون بها هي جزء من كذا، وعلم الناس هو جزء صغير صغير من علم الله

تعالىٰ؛ بل إن الله تعالىٰ هو الذي أفاض عليهم كل ذلك.

فإذن الإعجاز جاء لو جمعت صفات الناس، المتلقي للقرآن في العهد الأول يتلقاه بلغة عربية لها سلطانها عليه، ولٰكِن محتواه، لو اجتمع الناس جميعا ما جاؤوا بهذا المحتوىٰ، آية في الوعيد في الجنة في القصص في التشريع في العبادة في السلوك في المخاطبة في اللين.. لا يمكن أن يكون بهذا المستوىٰ أن يكون من كلام إلا من كلام الله جل وعلا.

الثالثة: أن القرآن وقع فيه الإعجاز بشيء يجتمع الناس علىٰ الاستسلام وهو الإخبار بالمغيبات، النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- لا يعلم قصص الأنبياء التي سلفت علىٰ هٰذا النحو؛ لأن قصص الأنبياء جاء بعضُها في التوراة والإنجيل؛ ولٰكِن علىٰ هٰذا النحو من العلو في الوصف والعبارة، وهٰذا الحفظ لم تأت إلا في القرآن، وجاء فيها اشياء ليست مدركة لا في العلم السالف ولا في الأمم السالفة ولا حتىٰ في وقت التنزيل ولا في علم المؤرخين، إلا في وقت متأخر.

فإذن ذكر التأريخ الماضي لا يعلمه إلا الله جل وعلا: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾[يوسف:١١١].

مثلا في قصة يوسف ﷺ: مصر كانت محكومة قبل عهده وبعد عهده كانت محكومة بالفراعنة، الفراعنة حكام مصر، قبله وبعده، في قصة يوسف ﷺ ما جاء فيها ذكر فرعون جاء فيها ذكر العزيز، أين ذكر فرعون؟ هل الفراعنة جاؤوا بعده؟ الفراعنة قبل والفراعنة بعد، فلماذا خلت قصة يوسف ﷺ من ذكر شيء اسمه فرعون. العلماء يقولون: العزيز اسم من اسماء الولاة الأولين أسماء ولاة فرعون أو ما شابه ذلك؛ لٰكِن جاء التاريخ وبين أن فترة يوسف ﷺ غلبت فيها دولة غلبت فيها الفراعنة وانتصروا علىٰ الفراعنة، ثم بعد يوسف بزمن عاد الفراعنة وحكموا مصر، ففي تلك الفترة التاريخية وهٰذه ما اكتشفت إلا مؤخرا.

وهٰذا نوع من إعجاز القرآن ليس الإعجاز التاريخي مثل ما يقولون؛ ولكنه أن القرآن كلام الله جل وعلا لأنه هو الذي يعلم ما كان ويعلم ما يسكون وصفة الله جل وعلا هنا في إحاطته بالعلم وأن الله جل وعلا بكل شيء محيط علما وقدرة ﷻ هي التي تجعل القرآن معجزا، فكونه سبحانه علم علما محيطا كاملا لا نقص فيه بوجه من الوجوه، فيما مضىٰ، وفيما هو حاضر وفيما نستقبل، علم أزلي ذاتي ﷻ لا

ينفك عنه جل وعلا، لهٰذا يعطيك أن هٰذه الأشياء التي في القرآن المتنوعة هي دليل أنه لا يكون إلا من عند الله جل وعلا مدخل أيضا للغيبيات المستقبلة التي في القرآن.

وهنا يجوز هنا إدخال الإعجاز الذي يسمونه الإعجاز العلمي في هٰذا الأمر؛ لأنه هو إعجاز لعلم الله جل وعلا بما سيكون وذكره في القرآن، فهو راجع إلىٰ تحقيق أن القرآن كلام الله جل وعلا؛ لأن العلم بالمستقبل لا يكون إلا من عند الله جل وعلا.

ولهٰذا الإعجاز العلمي باب واسع، وهو مهم في التأثير الكلام عن الإعجاز العلمي للقرآن بأنواعه سواء، إعجاز فيزيائي أو كيميائي أو زراعي أو فلكي أو عددي إلىٰ آخره.

بشرط أن الذي يربط شيئا فيه أشياء من الإعجاز العلمي بالقرآن يجب أن يعلم أن القرآن كلام الله الذي هو الحق المقدم، وهو الحق المطلق، والنظريات هٰذه عرضة للصواب والخطأ مهما كانت، فتكون تلك العروض بالإعجاز العلمي للقرآن لابد أن تكون تقريبية وليست قطعية؛ لأن منها أشياء فسرت بها آيات ثم بان أنها ناقصة أو ليست كذلك.

ومن المعلوم أن القطعي لا يعارض قطعيا، فإذا كانت إثباتات نظرية أو ما أشبه ذلك الأمور العلمية قطعية بأحد أدوات إثبات القطعية فإنه لا بأس أن يفسر بها القطعي؛ لٰكِن القطعي هو القرآن إذا كانت دلالته قطعية، وأما إذا كانت دلالة اللفظ ظنية فهٰذا فيه مجال بحسب تفسير العلماء.

الصفة [الرابعة] لمدخل الإعجاز: أن القرآن كلام الله جل وعلا من حيث هو سبحانه ذو الربوبية علىٰ خلقه أجمعين؛ فهو الخالق الرازق والرب سبحانه، والملك والقوي والقدير سبحانه، فكل صفات الجلال وأسماء الجلال قوة والهيبة لله جل وعلا، هٰذه كلها ينزل أثرها في كلامه ﷻ فيما أنزله علىٰ نبيه.

ولذلك تجد آيات كثيرة لا يمكن أن تفسر إلا بأنها كلام من له صفات الجلال، لا يمكن أن تستقبلها بأنه كلام عادي؛ لٰكِن العربي بفطرته يدرك ذلك.

الصحابي رضي الله عنهم أجمعين قال فلما بلغ النبي ﷺ قراءته في سورة الطور ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ قال: كاد قلبي يطير؛ لأنه تلقىٰ تلقيا صحيحا ليس من أثر الكلمات، هو في من وراء من تلكم بهذه الكلمات من يقول: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ من يستطيع يقول مثل هٰذا؟ لا يمكن

أجد إلا الله جل وعلا الذي هو حقيق بكل تعبد وذل وإخبات بين يديه ﷻ.

من دخل في صفات الجلال وأسماء الجلال ينظر هٰذا النظر.

النظر الآخر من ينظر في صفات العدل والحكمة، فآيات القرآن التي فيها التشريع ينظر فيها حكمة الله جل وعلا في كل أنحاء ما شرعه الله ﷻ. وهٰذا باب واسع.

كذلك صفات الجمال من يستطيع من الإنس والجن ومن أنزل عليهم القرآن ، من يستطيع أن يتكلم بهذا الجمال في الأثر كما في القرآن، في الرحمة والمغفرة، وفي النظر في الملكوت، وفيما في الخلق من جمال، وما في تدبير الله جل وعلا من جمال، وما في الرحمة من جمال، وما في الجنة من جمال ليس جمال الصورة جمال ما أعد الله جمال رحمة الله بخلقه.

هٰذه المعاني الجميلة الكثيرة لا يستطيع بشر أن يفيضها؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه هو أصلا لا يستطيع ذلك إدراكا فكيف يفيضها علىٰ عباده.

وذلك تنوع الآيات تنوع عظيم، فلا غرابة أن يكون القرآن لو أنزل علىٰ غير البشر لكانت الجبال خاشعة متصدعة؛ لأنه شيء عظيم ضخم يوقظ يحرك لمن عنده حس، لمن عنده سمع، أو ألقىٰ السمع.

ولهٰذا كلمة السمع هٰذه من أعظم ما يكون التأثير بالقرآن، القرآن حجة ليست مرئية، برهان ليس مرئي هو برهان مسموع، وإذا كان كذلك ولذلك لابد من إلقاء السمع، تفتح ذهنك أقوىٰ ما تكون، تفتح عقلك أقوىٰ ما يكون فيما تسمع، ثم تسمع القرآن هنا تعلم أنه من عند الله لا يمكن أن يكون من عند غير الله.

الأخيرة من الصفات هي صفة الحكمة؛ حكمة الله جل وعلا وإحاطته بعدله وحكمته بكل شيء، هٰذه قال الله جل وعلا فيها، ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء]، ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾[محمد] التدبر مرتبتان -يعني المدخل إليه-: السمع، وفهم المعنىٰ.

سمع وفهم المعنىٰ؛ لذلك قال: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ تمنعهم من التدبر، الذي يتلقىٰ القرآن ويسمع السمع الصحيح، وليس سمع الآلة؛ سمع الآلة كلنا نسمع القرآن ويسمعها المسلم والكافر؛ لٰكِن هٰذا سمع الآلة هٰذا مشترك؛ لٰكِن سمع الانتفاع، هٰذا هو المطلوب، سمع التدبر ﴿وَكَانُوا۟ لَا

يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ ﴾[الكهف] سمع التدبر سمع الانتفاع، أما سمع الآلة ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم ﴾[الأحقاف:٢٦] إلىٰ آخر الآيات في ذلك؛ يعني أعطاهم الله سمعا وأبصارا وأفئدة ما نفعتهم هٰذه الآلات وسائل.

خلاصة حتىٰ لا يطول المقام / هو طرح نطرحه علىٰ هٰذه الجمهرة من العلماء في الدراسات القرآنية وخاصة الأخوة في مركز تفسير:

أن إعجاز القرآن حقيقته أن القرآن من الله، وكلام الله ليس ككلام البشر في كل ما فيه، وأن مسلك البلاغيين في إعجاز القرآن كان في نقطة في بحر؛ لأن كلام الله من حيث البلاغة لاشك لا يمكن أن يكون كلام مخلوقين ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾[النساء]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾[النساء]، لا شك لا أحد أحسن من الله حديثا؛ لأنه كلامه، فالبلاغيون يبحثون في هٰذه الكلمة في هٰذه الآية ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾ في اللفظ والمعنىٰ والنظم لإقامة الحجة؛ لٰكِن السلطان هٰذا المتنوع هو سلطان ما في القرآن من أثر صفات الله جل وعلا وأسمائه.

هٰذا هو المدخل العلوي المسيطر علىٰ النفس لتوقن أن القرآن كلام الله .

أسأل الله جل وعلا أن يغفر لي ولكم، وأن يجعلنا من أهل القرآن الذين أهله وخاصته.

اللّٰهمَّ اغفر لنا جما، اللّٰهمَّ اجعلنا من المعظمين لك ولكتابك، ومن المتبعين لرسولك، اللّٰهمَّ صل وسلم علىٰ نبينا محمد. اللّٰهمَّ اغفر جما. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. عبد الرَّحمٰن : اللّٰهمَّ لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه علىٰ هٰذه النعمة وعلىٰ هٰذه المجلس المبارك؛ الذي تفضل به شيخنا الشيء صالح آل الشيخ وفقه الله.

وشكر الله لكم يا معالي الشيخ علىٰ ما تفضلتم به.

وأقول: ينبغي ونحن سنفعل ذلك في مركز تفسير أن نفرغ هٰذه المحاضرة ثم نعرضها عليك يا الشيخ صالح حتىٰ تنقحها وتزيدها بسطا وتمثيلا، فإن هٰذا المدخل مدخل قل من يطرقه بهذه الطريقة.

وكلام شيخنا في أول حديثه أن دراسة إعجاز القرآن مدخلها الصحيح المدخل العقدي هٰذه كلمة مهمة جدا، قل من يشير إليها ويتنبه إليها، جزاك الله خيرا الشيخ صالح وبارك الله لك فيما رزقك من علم.

نفتح المجال للزملاء الذين يرغبون في المداخلات الصوتية إن كان هناك أي مداخلات صوتية لم يأتني أي طلب في الأوراق .

سؤال (١): هل هناك علاقة بين قول المعتزلة بخلق القرآن وبين قولهم بالصرفة، وهل القول الأول يُلزمهم بالقول الثاني، وإلا ما سبب نشأة وقولهم بالصرفة.

الجواب: أولا الصرفة معناها أنهم قادرون، لٰكِن صرف الله قدرتهم عن معارضة القرآن؛ يعني الصرفة معناها أنهم عندهم قدرة؛ لٰكِن صرفوا عن استعمال القدرة حتىٰ يأتوا بقرآن مثله، وإلا هم يقدرون.

وهٰذا لا علاقة له مباشِرة بخلق القرآن، ومسألة خلق القرآن؛ لأن خلق القرآن قضية راجعة إلىٰ أن كلام الله جل وعلا حادث، وهٰذه مسألة أخرىٰ غير مسألة الإعجاز، تلك بحثها في صفات وهٰذه بحثها في دلائل النبوة وحجة رسالة النبي ﷺ.

سؤال (٢): هل يوجد كتاب ترشحونه للوفاء بدراسة الإعجاز القرآن علىٰ طريقة بلاغة العرب لا طريقة العجم، وما رأيك فيمن كتب مدخلا إلىٰ بلاغة أهل السنة، وهل يمكن إكمال هٰذه الفكرة.

الجواب: **أولا**: نظرية النظم الذي جاءت العلامة عبد القاهر الجرجاني علماء السنة بالقبول وأثنىٰ عليها العلماء؛ لأنه ليس عليها مأخذ عقدي؛ لذلك لا أرىٰ مناسبة أن يكون هناك درس خاص بأهل السنة في إعجاز القرآن، لا؛ إعجاز القرآن مفتوح وهو دليل من أدلة النبوة.

الأمر الثاني: أن البلاغة هي مسألة تذوق، هي علم لمحاولة فهم الغلة العربية، فلذلك أنت تفهم الغلة العربية بالتذوق أو تحس باللغة العربية بتذوقها أو بقوانينها.

أصل التذوق لا يكون إلا إذا حفظت شيئا كثيرا، التذوق لا يكون إلا بحفظ الكثير من شعر العرب وقصائدها؛ لأن ديوان العرب هو الديوان الذي حُفظ به كلام العرب جميعًا.

تعلمون القصة -وهٰذه من الدلائل أيضا علىٰ حجّية القرآن- عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يتلو سورة النحل أحيانا في خطبة الجمعة، فخطب مرة وقرأ من سورة النحل حتىٰ بلغ قوله تعالىٰ: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾ ثم سأل ما التخوف ؟ يعني أشكلت عليه ﴿عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ هل هو خوف؟ فقام أحد الهذليين فقال: التخوف يا أمير المؤمنين في لغتنا في لغة هذيل: التنقص، قال شاعرنا

أبو كبير:

تخـوف الرحـل منهـا تامكـا قـرددا كمـا تخـوف عـود النبعـة السـفن

تخوف يعني تنقص، أو يأخذهم علىٰ تنقص شـيئا فشـيئا، يبـدأ ينقصـهم شـيئا شـيئا، حتـىٰ تقـع بهـم العقوبة.

وهٰذا فيه عظمة إعجاز القرآن بهذا المعنىٰ؛ أن القرآن فيه لغات العرب جميعا، التي لا يمكن أن يحـيط بها أحد من العرب ففيه لغة قريش وهذيل وتميم إلىٰ آخره.

الأحرف السبعة أنزلها الله تعالىٰ علىٰ أرجح الأقوال عندنا أنها علىٰ لغـات العـرب، الأحـرف بمعنـىٰ اللغات أنزل علىٰ سبعة أحرف يعني علىٰ سبع لغات من لغات العرب، أنزلهـا الله لحكمـة جمعـت هٰـذا يعلم أن القرآن ليس من النبي ﷺ لا يمكن أن يأتي عمر وهو قرشي اشكل عليه تخوف.

لهٰذا اهتم ابن عباس وجماعة من الصحابة بشعر العرب لأن فيه تفسيرا لكلمات كثيرة، كمـا في قولـه: ﴿وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ﴿٦١﴾﴾[النجم]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: السمود في لغة حمير الغناء؛ ففيها كلمات تأتيها مـن لغات العرب جميعا، ما لا يمكن أن يحيط به بشر.

سؤال (٣): بعض العلماء تكلموا في مسألة القدر المعجز من القرآن، فما هو كلام أهل السنة في ذلك؟

الجواب: القدر المعجز من القرآن ﴿الٓمٓ﴾، كل القرآن معجز؛ لأنه كلام الله.

أما القدر المعجز بكلام مـن تكلـم في اللغـظ والمعنـىٰ إلـىٰ آخـره قـالوا: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٣]، سورة ليست قصيرة؛ لأنهم قالوا: السور قصيرة كيـف يكـون فيهـا حجيـة، هـم يفـرون مـن قوانين وضعوها لأنفسهم، وضعوا قوانين ثم يفرون منها.

القرآن معجز بـ: ﴿الٓمٓ﴾ القرآن معجز بـ ﴿قٓ﴾؛ لٰـكِـن الحقيقة مـا أنزلـت ﴿الٓمٓ﴾ لوحـدها، ومـا أنزلـت ﴿قٓ﴾ لوحـدها، ومـا أنزلـت ﴿طه ﴿١﴾﴾ لوحـدها، أنزلـت ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾﴾ فالسؤال غير واقعي، السـؤال هٰـذا خيـالي لـيس لـه معنـىٰ؛ لأن القرآن كلام الله بما نزل، أما القدر المعجز ليتوصلوا به إلىٰ أن السورة الواحـدة القصـيرة ليسـت معجـزة وهٰذا مردود بكل حال.

مثل هٰذه الأسئلة التي منشؤها كلام الكلاميين في دلائل النبوة نقول: إن هٰذا ليس السـؤال واردا أصـلا

لأنه ليس منطبقا ولا واقعيا.

سؤال (): ذكرتم فرقا بين وصف القرآن بالإعجاز وبين كونه إعجازا من الله، نرجو منكم مزيد توضيح في ذلك.

الجواب: ممكن نبسطها شوي:

- أعجز اللهُ الناسَ بالقرآن.
- أو إعجاز القرآن.

الأول إعجاز من؟ إعجاز الله، لٰكِن وقع إعجاز الله بالقرآن.

والثاني إعجاز القرآن في نفسه؛ لأنه كلام الله.

فالأول ينطبق علىٰ قول من يقول بالصرفة؛ لأن الله أعجز، هو الذي صرف هو الذي جعلهم يعجزون؛ لٰكِن الحقيقة أن القرآن في نفسه معجز آية وبرهان لا يمكن أن يأتوا بمثله لأنه كلام الله جل وعلا.

ففرق بين اللفظين:

الأول فيها نسبة القدرة لله جل وعلا بصرف الناس عن القرآن.

والثاني إعجاز القرآن يعني أن الآية والبرهان والإعجاز صفة من صفات القرآن ذاته.

سؤال (): هل كتب عبد القاهر الجرجاني كـ«أسرار البلاغة» و«دلائل الإعجاز» يمكن لطالب العلم أن يقرأ فيها وليس له كبير خبرة بمختصرات البلاغة؟ وما الكتب التي تصلح أن تكون مفتاحا لفهمه؟

الجواب: أولا «أسرار البلاغة» يمكن أن تجاوزه لأنه يتكلم في البيان أكثر.

أما «دلائل الإعجاز» فاقرأه عشر مرات، أو عشرين أو ثلاثين، لن تمل، كتاب يحرك فيك حب القرآن وفهم المعاني؛ لأن علم المعاني يا إخواني علم مهم جدا؛ يعني ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يأتي واحد يفسر نعبدك سبحانك؛ لٰكِن صاحب علم المعاني الذي يفهمها العربي بطبيعته؛ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لا نعبد إلا أنت؛ لأن تقديم إياك علىٰ -وهي معمول الفعل- تقديم المعمول علىٰ العامل يفيد التخصيص؛ مثل ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ

إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾[الزمر:٣]، هٰذا حصر؛ لٰكِن الحصر نوعين: حصر قلب أو حصر آخر[1].

هنا هٰذا حصر قلب؛ يعني قلب عليهم: ما نعبدهم لعلة من العلل إلا لعلة واحدة وهي أن يقربونا إلىٰ الله زلفىٰ.

مثلا اللف والنشر، يعني الجمع ثم التفريق، هٰذا أيضا علم من علم المعاني، له فوائد.

الفوائد هٰذه خارجة عن دلالة اللفظ هي فوائد أخرىٰ، مثل الحصر، القصر، القلب، تأكيد، الإضافة، هٰذا معلوم من كلام العرب.

مثلا نقول لكم في النحو مثلا : الدرس قائم. هٰذا مبدأ وخبر فيه تأكيد، الدرس قائم مسند ومسند إليه وانتهينا.

لو قلنا : لَلدّرس قائم، يعني أكدنا باللام.

لما أقول: إن الدرس لقائم، معناه صار فيه مؤكدين معناه أكبر.

إذا استثناء مفرغ يعني بلا ثم نأتي بإلا يفيد ماذا؟ لا إلٰه إلا الله، لا إلٰه إلا اللام مع إلا ما دلالتها هٰذه كلها في علوم المعاني، تأخذها بالتفسير نقلا؛ لٰكِن يمكن أن يتطور فيها طالب العلم بمعرفته علم المعاني فعلم المعاني أهم علم في العربية متصل بتفسير القرآن، وهو مُظهر لوجوه المعاني الكبيرة في القرآن كلام الله جل وعلا.

لا يعني هٰذا أن البيان ليس مهما لٰكِن هٰذه شغلة المختصين، أما المفسر لازم يعرف علم المعاني.

سؤال (): كثير من الشبه التي تشاع عن بعض المنتسبين للمسلمين حول القرآن لم ترد عن مشركي العرب زمن النبوة، فما سر ذلك؟

الجواب: هٰذا صحيح؛ لأن الشيطان باق.

سؤال (): ينظر في الساحات اليوم أن أكثر من تميز في تفسير القرآن وإعجازه هم المختصين باللغة فما تعليقكم؟.

الجواب: هو أكثر من فسر القرآن هم أهل الحديث؛ يعني أهل التفسير لعلماء الأسانيد وهو أول ما نقل القرآن التفسير بالأثر عن النبي ﷺ التفسير عن الصحابة التفسير عن التابعين.

---

(١) لعله ينقسم إلىٰ ثلاثة: قصر قلب، قصر تعيين، قصر إفراد.

أول مدونات التفسير التفسير بالأثر، ودخلها قليل تفسير بعض الآيات باللغة، ثم توسعت المدرستان: مدرسة التفسير بالأثر، ومدرسة التفسير بالاجتهاد الذي هو أهم شيء فيه اللغة.

فمدرسة التفسير باللغة مهمة ولٰكِن هي مع مدرسة التفسير بالأثر يكون المفسر فيها قويا؛ لٰكِن لو كان تفسيره لغويا بدون ما ينظر ما ينظر في تفاسير السلف فيكون مقصرا في ذلك؛ لأن الصحابة رضوان الله عليهم هم أعلم الناس بالقرآن لغة وتنزيلا ومواقع.

سؤال (): كثير من الأسئلة وردت تسأل عن ضوابط في الإعجاز العلمي ومعاليكم ذكرتم في آخر حديثكم شيئا من هٰذا ؟ هل من إضافة خاصة مع كثرة التوسع في القول بالإعجاز العلمي.

الجواب: الإعجاز العلمي أنا أنظر له علىٰ أنه ليس علما؛ ولكنه وسيلة دعوة، ولذلك يجب أن يؤطَّر بهذا الإطار، فيستفاد منه في الدعوة، وفي تحبيب الناس إلىٰ القرآن، وفي بيان أن الله جل وعلا حق وأن الرسالة حق وأن القرآن حق، وما أشبه ذلك، وهي تؤثر في الناشئة كثيرا.

وأذكر في شبابنا في الصغر من الأشياء التي لفتت نظرنا في المحاضرات الكلام عن إعجاز القرآن؛ لأن هذه تروق للشباب وتروق للمبتدئين، ينتبه لعظمة القرآن بموضوعات الإعجاز، فهو وسيلة عصرية للدعوة.

صاحب هٰذه الوسيلة يجب أن كون عالما أو مقلدا لعالم بثقة؛ لٰكِن لا يصدق كل ما يقال، كل ما قالوا هٰذا إعجاز حطوه إعجاز، ربما يأتي واحد متخصص مثل ما مر كنا في مكان أحد يتكلم بشيء إعجاز طبي وما هو طبيب المتكلم، كان أحد الأطباء الموجودين قال: لا علميا أن هٰذا ليس صحيح، الآن صار فيه كذا وكذا.

إذن استخدامه كوسيلة لا بأس بقدر ويجعل ظني ويبرئ الملقي ذمته بأنه قد يكون من معاني الآية يعني يعمل شيئا مما يجعل لقرآن هيبته ومكانة؛ لأن هٰذا كلام الله جل وعلا ينزل النظريات البشر نظريات ذا كانت قطعية تحولت من نظرية، فالقطعي لا يعارض قطعيا دلالة علىٰ معناها قطعيا؛ لٰكِن يجب أن يكون ما يفسر بالإعجاز:

أولا أن يكون هو قطعي، إذا جعلته آية من الإعجاز العلمي أن يكون قطعيا ولا تكون نظرية تحت الإثبات أو تحت البحث أو يتوافر عليها جميع العلماء.

المسألة الثانية أن تكون الآية دالة علىٰ هٰذا المعنىٰ باللغة، وأن لا تكون دلالتها اللغوية ملغية؛ يعني بعضهم يأتي يفسر مسألة؛ لٰكِن الآية ليست فيها يجعلها من تفسير الآية، والآية أصلا في اللغة لا تتحمل هٰذا المعنىٰ.

الثالث أن يكون التفسير بما يسمىٰ إعجاز القرآن من متخصص به في العلم ذاته؛ يعني تكلم في الجيولوجيا متخصص في الجيولوجيا يتكلم بهذا، ثم بعض الناس ينقلون عنه لا بأس في الدعوة ليفسر الأول الآية لابد يكون متخصص بها، يكون يعلمها علما فيزيائي يتكلم عن أمور فيزيائية فلكي يتكلم عن الأمور الفلكية.

الطبيب يتكلم عن الأمور الطبية، واحد يأخذ كل المسائل: يأخذ مسائل فيزيائية، ومسائل، عدد ذري للمعادن، وهو طبيب ويتدخل في الطب، هٰذا عدم احترام في القرآن لا أرىٰ أن يدخل فيه نستفيد من الإعجاز العلمي بتخصص دقيق هٰذه الشروط الثلاثة:

- قطعية.
- يحتمله المعنىٰ اللغوي واحتمال المعنىٰ اللغوي الصحابة تكلموا فيه بما يدل عليه المعنىٰ اللغوي أو لا يعارض كلامهم.
- والثالث أن يكون من متخصص بارع في ذلك

والله أعلم.

سؤال (): كثير من الأسئلة وصل يسأل عن دروس معاليكم، ويتشوف إلىٰ بداية هٰذه الدروس، وانتظامها، ونحن أيضا في مركز تفسير للدراسات القرآنية نتمنىٰ في الحقيقة أن يكون هناك درس تفسير أسبوعي لمعاليكم ونحن في المركز مستعدون لخدمة هٰذا الدرس بكل وسائل الخدمة.

ومن أولها أن نستخرج تصريحا للدرس من وزارة الشؤون الإسلامية، فما تعليقكم؟

الجواب:

غيري الذي جنىٰ وأنا المعذب فيكم فكأنني سبابة المتندم

صعب الواحد يجمع، ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه، ولٰكِن في الحقيقة التركّب علمي؛ ولٰكِن الواحد يحاول الإسلام والإسلام، ينفع إخوانه وينفعكم وينفع غيركم، بما أعطاه الله جل وعلا من المكانة هٰذه الأمكنة ليست مقصودة لذلتها هي وسائل فإذا المرء يساعد بوسيلة لنشر الحق وتكثير

الخير وتقليل الشر فلا بأس يدخل فيها.

أما للنزهة أو للجاه أو نحو ذلك فنعوذ بالله من ذلك، وقد قال النبي ﷺ: «ما ذئبان جائعان أرسلا علىٰ غنم بأضر لها من حرض المرء علىٰ المال والشرف -وهو الجاه- لدينه» هو مضر جدا هٰذه إلا إذا كان القصد هو الحق في نفسه ويحاسب المرء نفسه ويوطن نفه علىٰ أنه قصد الحق في نفسه، نشر الهداية، تكثير الخير، تقليل الشر.

يوسف عليه السلام لما ولي لأجل تكثير الخير وتقليل الشر.

الصحابة رضوان الله عليهم ما أخذوا الولايات حبا فيها؛ لٰكِن لأجل أن يقيم الله بهم ما استطاعوا من دينه، بحسب ما يكون لهم من ذلك، وهكذا كل من أتيح له أن يتولىٰ شيئا فأولا يبرئ نفسه يحاول أن يجاهد نفسه أن لا يكون غرضه الدنيا؛ لأنه إذا كان يتعرض للأمر يتطلع للشيء فإنه من سأل شيئا من هٰذه لا يعطاه، من سأل ولاية لا يولىٰ، ومن استشرف لولاية لأنه يضر.

الأمر الثاني أن يكون المرء يحرص علىٰ أن يكون بابا للخير مغلاقا للشر بقدر استطاعته، التمام صعب لٰكِن بقدر استطاعته.

هٰذا ولا شك أن أعظم ما يقال في ذلك هو قول الله جل وعلا: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾[الكهف]، من ولي شيئا وعنده هٰذه الآية أمامه فهو إن شاء الله علىٰ خير.

نسأل الله أن يغفر لنا زللنا وأن يجعلنا وإياكم من المنتصرين للحق والهدىٰ.

سؤال (): نختم برسالة من معاليكم توجهوننا لمحبيك وتلاميذكم في مركز تفسير للدراسات القرآنية،

الجواب: لا أعظم من أن أقول لنفسي ولإخواني من أن أعظم شيء القرآن، وكلام الله جل وعلا هو أعظم ما يُتقرب به إليه.

كيف هو علم نتعلمه ونعلمه فيا بشرىٰ من علم الناس يحبه الله جل وعلا ورسوله وهو القرآن، واليوم ليس مجال أنصاف حلول في العلم، إما أنك تجد وتحرص علىٰ علم نافع قوي بحسب ما آتاك الله من القدر والمواهب؛ لٰكِن تجد أن تكون قد تيقنت مما تعلمته، وهٰذا هو المطلوب أن نتيقن مما تعلمناه،

وأن لا نتعلم نصف علم.

فإن الذين يضرون الشريعة اليوم ويضرون في فهم الإسلام، وينسبون للدين ما ليس له هم من يكتفون بالنصف، يعلمون شيئا قد غابت عنهم أشياء، وهٰذا لا تبرأ الذمة بأن الإنسان عنده القدرة علىٰ أن يبحث وهو مقصر اكتفاءً بما تعلم.

الواحد تعلم في الكلية ثم بعد العمر نسي نصفه يصلح يتصدر للناس؟ أو يراجع مراجعات خفيفة؟! لابد من تعمق لأنك أنت تنقل عن الله جل وعلا، العلم ليس سهلا، والأمة بحاجة إلىٰ علماء كثير جدا، يعني كم عدد الأمة؟ مليار وخمسمائة مليون، كم نحتاج لهم من العلماء؟ كم نحتاج من المتخصصين يعلم شيئا فيدعو إليه.

الله جل وعلا أمرنا أن نتبع وأن نكون مبلغين، فالتبليغ لا يكون بجهل، يكون بعلم، لابد من العلم الرايخ بقدر استطاعة المرء فيعلم الله منك أنك بذلت جهدك.

وهنا شيء ينتبه له الإخوة، وهو أن العلم له عقد وله ملح، لا يبالغ في الملح في العلم وتنسىٰ الأصول؛ مثلا عنده أساسيات لٰكِن بالغ في البحوث التفصيلية حتىٰ نسي الأصل، لا يصير هٰذا.

لابد أن يكون دائما معك رأس المال العلم الأساسي الذي تعلمه، لا تبحث في أمور تفصيلية من ملح العلم، مثلا يبحث رسالة البحث طويل الجبال أو الرجال في القرآن وينسىٰ علوم القرآن الأساسية التي يحتاجها، أو يأتي في مسألة شرحت الطهارة في عشرين مجلدا والفقه كله؟ أو نحو ذلك.

هذا لابد من رعايته لا ننساق وراء رغبة في ذلك، العلم عقد وملح، خذ من الملح ما ينشطك للثبات علىٰ معرفة العقد.

اليوم في العلوم جاء ما يصد عنها، وهي فرصة، وهي الوسائل الحديثة، اليوم بالغ طلبة العلم في رؤية وسائل التواصل الجديدة من تويتر ويوتيوب، ويرون في القنوات.. إلىٰ متىٰ؟ خذ منها قدر الحاجة؛ لٰكِن العلم هو الأساس، ستفقد العلم شيئا فشيئا فكيف إذا صار هجمة متنوعة من كل جهة وأنت من بحر في بحر من بر في بر؛ تضيع في الصحراء.

الآن تويتر حركة ناس ببلايين البشر في العالم، تتبع كل هٰذا العام، هٰذا لا يليق، حتىٰ من ناحية السمت، أو من ناحية المروءة الواحد ما يتتبع ناس عنده جنبه، أمم من الناس جنبه وبعيدين، لا يليق إلا

لقدر الحاجة لنصرة الدين.

أما لمجرد الأنس بهٰذا ليس أنسا مشروعا مع ملاحقة كلام الناس إلا ما فيه فائدة، فإذا كان تعود بهٰذه علىٰ علم الرجل بالتأثير أو بالضعف أو علىٰ عبادته أو تعبده أو خشيته، هٰذا مصيبة أخرىٰ يجب أن نرعوي بسببها. والله أعلم.

د. عبد الرَّحمٰن: كما قال أحمد شوقي في ختام هٰذا اللقاء:

قد يهون العمر إلا ساعة وتهون الأرض إلا موضعا

كانت ساعة ماتعة مع معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ أستاذ الدراسات القرآنية ووزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، تحدث فيها عن مدخل عميق معمق في دراسات إعجاز القرآن، أرجو بإذن الله تعالىٰ أن ننتفع به، وأن نراجعه، وأن يكون إن شاء الله مكتوبا مطبوعا منقحا في المستقبل.

شكر الله لكم معالي الشيخ تلبية هٰذه الدعوة، وشكر لكم جميعا أيها الإخوة حضوركم.

ونسأل الله سبحانه وتعالىٰ أن كما جمعنا في هذا المكان أن يجمعنا في جنات النعيم، وأن يجعلنا جميعا من عباده المخلصين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا ونبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.